



Compatibility Between The Use Of The Meanings Of Some Prepositions In Examples Of The Noble Prophetic Hadiths With Their General Concept In The Arabic Witness A Semantic Grammatical Study

Mahmoud Jassim Ahmad 

Department of Arabic Language / College of Arts /
University of Mosul/ Mosul- Iraq

Article Information

Article History:

Received June 29, 2024
Reviewer August 21, 2024
Accepted August 26, 2024
Available Online June 01, 2025

Keywords:

Syntax
Meaning
Letters

Correspondence:

Mahmoud Jassim Mohamed
mahmodjasm24@gmail.com

Abstract

Prepositions are an integral part of Arabic speech, as they have a prominent role in the coherence of its words and in communicating the meanings of what preceded it with its structures. The multiplicity of uses of these letters has crystallized connotations and meanings for the Arabic text, especially if this text is one of the tributaries of the Arabic language, which is the noble Prophetic Hadith. From this cohesion, we produced a research that reflected a distinct aspect of the uses of the Arabic language and its unique special connotations.

In the linguistic perspective, the letter constitutes an important part of the sentence structure, and no linguistic structure can do without it, as it is the link by which the knots of speech are tightened, and its connections are strengthened, in addition to the meanings it provides that differ according to the structures and contexts in which it occurs. And since the letter has this The major role in sentence construction is that we should look at an aspect of it, explore its depths, and draw from its meanings. The choice fell on prepositions, because of their major role in linking the words used in the language, and conveying the meanings of verbs to nouns. These letters have been numerous and indicate various meanings, and one letter has more than one meaning.

DOI: [10.33899/radab.2024.151346.2191](https://doi.org/10.33899/radab.2024.151346.2191), ©Authors, 2023, College of Arts, University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (<http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/>).

التوافق بين استعمال معاني بعض حروف الجر في نماذج من الأحاديث النبوية الشريفة مع مفهومها العام في الشاهد العربي : دراسة نحوية دلالية

محمود جاسم احمد *

المستخلص

إن حروف الجر جزء لا يتجزأ من الكلام العربي، إذ إن لها دورها البارز في ترابط كلماته وإيصال معاني ما قبلها بما بعدها من تراكيبه. وقد تبلورت من تعدد استعمالات هذه الحروف دلالات ومعانٍ للنص العربي، ولا سيما إذا كان هذا النص رافداً من روافد اللغة العربية، ألا وهو الحديث النبوي الشريف؛ فنتج لنا من هذا التلاحم بحث عكس جانباً مميزاً من جوانب استعمالات اللغة العربية ودلالاتها النفيسة الفريدة.

فإن الحرف في المنظور اللغوي يشكل جزءاً مهماً من أجزاء بناء الجملة، ولا يمكن لأي تركيب لغوي الاستغناء عنه، فهو الرابط الذي به تُشَدُّ عرى الكلام، وتتقوى وشائجها، فضلاً عن ما يقدمه من معانٍ تختلف باختلاف التراكيب والسياقات التي يرد فيها، ولما كان للحرف هذا الدور الكبير في بناء الجملة صار حرياً بنا أن نطلع على جانب منها، فنسبر أغوارها وننهل من معانيها، وقد

وقع الاختيار على حروف الجر؛ لما لها من دور كبير في ربط كلام المستعمل للغة، وإيصال معاني الأفعال إلى الأسماء، وهذه الحروف قد تعددت ودلت على معاني متنوعة، وأصبح للحرف الواحد منها أكثر من معنى.

الكلمات المفتاحية: إعراب، معنى، حروف.

المقدمة:

قدّمنا عرضاً لحروف الجر تناول عددها ومعانيها ووظائفها، وما يلحق بها من تضمين وحذف، ثم ردفناه بمبحث آخر تناولنا فيه استخدام هذه الحروف في الحديث النبوي الشريف، وكيف وجه العلماء تلك الاستعمالات، وكان من أهم مراجعنا في هذا العمل كتاب (فتح الباري شرح صحيح البخاري)، لابن حجر العسقلاني، وكتاب شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، لابن مالك، فضلاً عن غيرهما من الكتب المتخصصة في هذا المجال، والله أسأل ونبيه الكريم أتوسل، أن يكون هذا العمل مغدق الثمار وارف الظلال، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

المبحث الأول

مدخل لدراسة حروف الجر

تشكل حروف الجر جزءاً واسعاً ومهماً من حروف المعاني، ومن المعروف أنّ هذه الحروف تستعمل روابط في الجملة العربية، وتتيح استخدام اللغة بحرية في التعبير والدقة في تناول المعنى المراد.

وقد حظيت حروف الجر قديماً وحديثاً بدراسات متنوعة سواء ما اتصل فيها بالقرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف، أو الأدب العربي شعراً ونثراً، إلا أنّ هذه الدراسات على سعتها وتنوعها لم ولن تنتهي؛ لأنّ هذا الجانب له الدور المهم في بناء الجملة، فضلاً عن كثرة المعاني المتجاورة على هذه الحروف التي أعطتها الدوام والاستمرار.

وبين أيدينا موضوع يتناول حروف الجر في الحديث النبوي الشريف أحد أبرز روافد اللغة العربية بعد القرآن الكريم.

إنّ لحروف الجر قيمة لا يمكن أن تظهر إلا عن طريق الاطلاع على مكانتها في التركيب، وما تؤديه من دور كبير في وحدة النص واتساقه وانسجامه وترابط عباراته، وقد نبّه على هذا علماء لغة النص ك (فان دايك ودي يوجراند) وأشار إليه من قبل علماء العربية إذ أفردوا لها كتباً مختصة، من أشهرها الجني الداني في حروف المعاني لبدر الدين حسن بن قاسم المرادي (ت 749هـ) و(مغني اللبيب عن كتب الأعراب) لابن هشام الأنصاري (ت 761هـ)، فقد تناولت هذه الكتب حروف الجر ضمن عنوان كبير هو حروف المعاني.

فالقيمة الحقيقية لهذه الحروف تكمن فيما تؤديه من معنى وما تحمله من قيمة تعبيرية لا يمكن أن تُؤدّى بدون وجودها في الجملة العربية.

- حروف الجر:

يشكل مصطلح (حروف الجر) وصفاً مركباً لتلك الأدوات التي تختص بالدخول على الأسماء، فتعمل فيها الجر إذا كانت تتضمن فعلاً يتعدى بحرف الجر، والأفعال بالأسماء، ويتكون المصطلح من كلمتين: (حروف) و(الجر)، فالحرف يدل في اللغة على الحافة وطرف الشيء، إذ قال الجوهري: "حرف كل شيء طرفه وشفيره وحدّه ومنه طرف الجبل وهو أعلاه المحدد"⁽¹⁾، والحرف أيضاً الأداة التي تسمى الرابطة؛ لأنها تربط الاسم بالاسم والفعل بالفعل ونحوها⁽²⁾، أما (الجر) فهو مدّ الشيء وسحبه، قال ابن فارس (ت: 395هـ) "الجيم والراء أصل واحد وهو مدّ الشيء وسحبه"⁽³⁾.

فالمعنى المحصل من هذا التركيب هو قريب من المعنى اللغوي، وهو ربط بين المعنيين للغوي والاصطلاحي، إذ تقضي هذه الحروف إلى جر الأسماء الداخلة عليها وسحبها في تركيب جديد يطلق عليه اسم (شبه الجملة).

وقد اختلف النحويون في تسمية حروف الجر، فالكوفيون يسمونها حروف الإضافة لأنها تضيف معاني الأفعال إلى الأسماء، ويسمونها الصفات ويسمونها أيضاً حروف الخفض، أما البصريون فيسمونها حروف الجر، وإنما سميت بذلك لأنها

(1) الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1979م: 42/4.

(2) ينظر: لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم، ط1، بولاق، الدار المصرية للتأليف والترجمة: 385/10.

(3) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ: 37/2.

تجر معاني الأفعال إلى الأسماء⁽¹⁾، ولا فرق بين الاصطلاحين، فالخفض هو معنى الجر نفسه؛ لأنَّ خفض الشيء إنزاله إلى أسفل وحطه، وإنما سميت بهذه الأسماء باعتبار معناها كما قيل حروف النفي وحروف الجزم وحروف النصب⁽²⁾.

قال الفاكهي (ت 972هـ) في تعريف الحرف: "وهو كلمة دلَّت على معنى، دخل مع المجرور قسيمه، قلت والقسمان هما الاسم والفعل، ثم خرج الفعل وبعض الأسماء بقولهم في غيرها، أي بسبب انضمام غيرها إليها، من اسم كمررت بزيد أو فعل كقد قام أو جملة كحرف النفي والاستفهام والشرط، فالحرف يشترط في دلالته على معناه الذي وضع له ذكر متعلقه، وإن لم يذكر متعلقه فلا دلالة له على شيء"⁽³⁾.

- عدد حروف الجر:

اختلف النحويون في عدد حروف الجر، فبعضهم عدّها اثني عشر حرفاً، وعدّها بعضهم عشرين حرفاً وهو المشهور⁽⁴⁾، قال ابن مالك⁽⁵⁾: هاك حروف الجر وهي: من إلى ... حتى خلا حاشا عدا في عن على مذ منذ رَبّ اللام كي واو وتا ... والكاف والباء ولعلّ ومتى، وهذه الحروف كما هو ظاهر منها ما يقوم على حرف واحد كالباء واللام والواو والكاف وهي الحروف الأحادية، ومنها ما يقوم على حرفين كالحروف عن ومن وفي وغيرها وهي الحروف الثنائية ومنها ما يقوم على ثلاثة أحرف مثل حتى وإلى ومتى وربّ وهي الحروف الثلاثية ومنها ما يكون على أربعة أحرف وهي حاشا ولعلّ وهي الحروف الرباعية.

وتقسم حروف الجر بالنسبة إلى عملها على ثلاثة أقسام:

- القسم الأول: لا تجر إلّا في الاستثناء وهي: حاشا وخلا وعدا.
- القسم الثاني: لا تجر إلّا شذوذاً وهي: لعلّ وكى ومتى.
- القسم الثالث: ويضم أربعة عشر حرفاً، سبعة تجر الظاهر والمضمر وهي: من إلى عن في الباء واللام، وسبعة لا تجر إلّا في الظاهر وهي بقية الحروف⁽⁶⁾.

- معاني حروف الجر:

يتعدد معنى حرف الجر ويتشارك في بعض هذه المعاني⁽⁷⁾، وبعض حروف الجر يكثر استعماله في الجر حتى يكاد يقتصر عليه.

فالأصل في (إلى) أنها لانتهاه الغاية نحو: الأمر إليك أي: منته إليك⁽⁸⁾. وأما (من) فتكون لابتداء الغاية نحو: سرت من البصرة إلى الكوفة، وتكون أيضاً لبيان الجنس نحو قولك: ثوب من خز، وتكون للتبعيض، نحو قولك: قبضت من الدراهم⁽⁹⁾. و(عن) من معانيها المجاوزة، نحو: رميت السهم عن القوس، و(على) من معانيها الاستعلاء حقيقة أو مجازاً، فمثال الأول: ركبت على الفرس، ومثال الثاني: عليه دين⁽¹⁰⁾.

و(في) من معانيها الظرفية والوعاء، نحو: الماء في الكوز، و(ربّ) من معانيها التقليل، نحو: رب رجلٍ صالح لقيته، والباء من معانيها التعدية، نحو: مررت بزيد، والكاف من معانيها التشبيه، نحو: زيد كالأسد، واللام من معانيها الاستحقاق، نحو: السرج للداية، وحتى لانتهاه الغاية، إلى غيرها من المعاني⁽¹¹⁾.

وحروف الجر أو الخفض لها بين حروف المعاني مكانة متميزة وموقع بارز، ذلك لأنها بكثرة دورانها في الكلام تكاد تقترب من الأسماء والأفعال، من حيث تصرفها في المعاني وتجاوزها الأصل الذي وضعت له إلى معاني أخرى قريبة منه أو غير قريبة هذا

(1) ينظر: الإيضاح في شرح المفصل، ابن الحاجب، تحقيق: د. مصطفى العلياني، مطبعة العاني، بغداد: 140/2، ومعاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، ط2، دار الفكر للطباعة والنشر، عمّان، 2003م: 6/3.

(2) ينظر: معاني النحو: 6/3.

(3) شرح الحدود النحوية: 271.

(4) ينظر: النحو الوافي، عباس حسن، ط2، مكتبة المحمدي، بيروت، 2007م: 335/2.

(5) ينظر: شرح ابن عقيل، بهاء الدين ابن عقيل، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة: 2/3.

(6) ينظر: الأشباه والنظائر في النحو، جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007م: 86/2.

(7) ينظر: النحو الوافي: 355/2.

(8) ينظر: معاني النحو: 14/3.

(9) ينظر: كشف المشكل، أبو الحسن علي بن سليمان (حيدرة الميمني)، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م: 162.

(10) ينظر: معاني النحو: 14/3.

(11) ينظر: المقرب، ابن عصفور، ط1، تحقيق: عادل احمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م: 273.

من جهة معانيها، أما من جهة وظيفتها في الكلام ومواقعها في التراكيب فإنهم يسمونها حروف الإضافة كما أشرنا إلى ذلك، ومعنى ذلك إضافتها معنى الفعل وإيصاله إلى الاسم⁽¹⁾.

وهذه الحروف تجري في استعمالها على طريقتين:

الأولى: وقوعها بعد فعل أو ما هو في تقدير الفعل مما يشتق منه أو يشاركه في الاشتقاق من المصدر - مذكوراً كان ذلك أو محذوفاً. وهذا هو الأكثر،

والثانية: وقوعها بحيث لا يؤول ما بعدها بمفعول وهي التي لم يسبقها فعل أو مشتق منه مذكوراً أو محذوفاً تتعلق به هي وما دخلت عليه، وهذه هي التي يسمونها الزائدة أو المؤكدة⁽²⁾.

يقول ابن يعيش: "فإذا قلتم إن هذه الحروف إنما أتت بها لإيصال معاني الأفعال إلى الأسماء فما بالهم يقولون: زيد في الدار، والمال لخاله، فجاء بهذه الحروف ولا فعل قبلها، فالجواب أن ليس في الكلام حرف جر إلا وهو متعلق بفعل أو ما هو بمعنى الفعل أو التقدير، أما اللفظ فقولك: انصرفت عن زيد، وذهبت إلى بكر، فالحرف الذي هو (إلى) متعلق بالفعل الذي قبله، وأما تعلقه بالفعل في المعنى فنحو قولك: المال لزيد، تقديره: المال حاصل لزيد، وكذلك زيد في الدار، تقديره: زيد مستقر في الدار، أو استقر في الدار"⁽³⁾.

نيابة حروف الجر

- النيابة لغة:

جاء في لسان العرب، ناب عني فلان ينوب نوباً ومناباً، أي: قام مقامى، وناب عني في هذا الأمر نيابة: إذا قام مقامى⁽⁴⁾، وفي الاصطلاح النحوي تعني النيابة: إسقاط أحد عناصر التركيب الجملي الذي يستدل عليه من الأصل المفترض لهذا التركيب المستخدم الذي تقتضيه قواعد التركيب في العربية وإحلال عنصر آخر محله في الاستعمال، فيأخذ عنه شيئاً من خصائصه، لا كلها لأنه ليس إياه⁽⁵⁾.

ولذلك يقول النحاة: إن كل قبيل من هذه الحروف خُصَّ بقبيل من الأفعال، ومع ذلك فقد تداخلت، يشارك بعضها بعضاً في هذه الحروف الموصلة، إن هذا التداخل هو في الحقيقة وجه من وجوه التصرف في الحروف يشبه التصرف في حذف الحرف للإطلاق والاتساع أو إثباته حين يرتاد معناه أن يكون بين الفعل ومفعوله، وحقيقة هذا التداخل أن يؤتى مع الفعل بحرف الجر ليس هو الحرف الذي يتعدى به عادة إلى المفعول، أو يقع بينه وبين المفعول، فقد يكون مما يصل إلى مفعوله على صورة الاستعلاء في الأصل، ثم يؤتى معه بالحرف الذي يدل على معنى ظرفية، وذلك في قوله تعالى: ﴿جاء به هـ هـ هـ﴾ (سورة طه: الآية: 71)، إذ المعهود أن يؤتى بـ (على) بعد هذا الفعل فجاء بـ (في) مكانها، فهل نابت (في) مناب (على)، وهل يجوز في حروف الجر أن ينوب بعضها عن بعض؟ وهل يستعمل حرف الجر لغير ما وضع له مثلاً تستعمل سائر الألفاظ لغير ما وضعت له على سبيل المجاز؟ أو أن التصرف وخروج اللفظ عن معناه لم يقع في الحرف، ولا يجوز أن يقع لأنه لا يحتمله، وينهض به وإنما كان في الفعل الذي استعان به في الوصول إلى مفعوله⁽⁶⁾.

فذهب البصريين إلى أن حروف الجر لا ينوب بعضها عن بعض بالقياس، كما أن أحرف الجزم وأحرف النصب كذلك، وما أوهم ذلك فهو عندهم إما مؤول تأويلاً يقبله اللفظ، كما قيل في قوله تعالى: ﴿جاء به هـ هـ هـ﴾، إن (في) ليست بمعنى (على)، ولكن شبه المصلوب لتمكنه من الجذع بالحال في الشيء، وإما على تضمين الفعل معنى فعل يتعدى بذلك الحرف⁽⁷⁾، كما ضمن بعضهم (شربت) في قول أبي ذؤيب الهذلي:

شربن بماء البحر ثم ترفعت متى لجج خضرٍ لهـن نـج

معنى روين، وضمن (أحسن) في قوله تعالى: ﴿جاء به هـ هـ هـ﴾ (سورة يوسف: الآية: 100) معنى ألطف.

- (1) ينظر: شرح المفصل، موفق الدين أبو البقاء ابن يعيش، قدم له ووضع هوامشه: إميل بدیع يعقوب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت: 117/2.
- (2) ينظر: حقيقة التضعيف ووظيفة حروف الجر، د. أحمد عبد الستار الجوّاري: 151.
- (3) شرح المفصل: 456/4.
- (4) ينظر: لسان العرب: 74/1.
- (5) ينظر: النيابة النحوية من خلال القرآن الكريم، أنماطها ودلالاتها: 11؛ وأثر دلالات حروف المعاني الجارة في التفسير، د. علي بن مناور الجهني: 500.
- (6) ينظر: حقيقة التضمين: 156.
- (7) ينظر: مغني اللبيب، جمال الدين بن هشام الأنصاري، دار الفكر، بيروت، 1972م: 119/1؛ ومعجم قواعد اللغة العربية، عبد الغني الدقر: 12.

لذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه، وذلك كقول الله عز اسمه:
جَاءَ ب ب پ پ پ پ (سورة البقرة: الآية: 187)، وأنت لا تقول: رفثت إلى المرأة؛ وإنما تقول: رفثت بها، أو معها، لكنه لما كان
الرفث هنا بمعنى الإفضاء، وكنت تعدي أفضيت بإلى، كقولك: أفضيت إلى المرأة، جئت بإلى مع الرفث إيذاناً وإشعاراً أنه بمعناه⁽²⁾.
أما الكوفيون فقد أجازوا نيابة حروف الجر عن بعضها البعض، وذلك لأنَّ حرف الجر لا يقتصر على معنى واحد، بل قد يأتي
لمعان متعددة⁽³⁾.

- حذف حرف الجر:

حرف الجر الزائد وحرف الجر الشبيه بالزائد:

وأما حرف الجر الشبيه بالزائد فهو كالحرف الزائد في كونه يجر الاسم الذي يأتي بعده لفظاً، لكنه يجلب معنى جديداً مستقلاً لم يكن موجوداً، ولهذا لا يصح حذفه مثل رَبُّ وَلَعْلٌ⁽¹¹⁾، ولكل من هذه الحروف الزائدة والشبيهة بها معنى تؤديه، ولا يكون وجودها في نص ما مجرد تحسين لفظي، فالزيادة في البني تؤدي إلى تغيير في المعنى.

استعمال حروف الجر في الحديث النبوي الشريف

- استعمال (في) دالة على التعليل والسببية:

- (1) شرح أبيات مغني اللبيب عبد القادر البغدادي، ج4، ص64.
- (2) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، ط2، دار الهدى، بيروت: 209/2.
- (3) ينظر: مغني اللبيب: 1/111؛ والتصريح على التوضيح، ، خالد الأزهرى، دار إحياء الكتب العربية، بيروت: 4/2-6.
- (4) ينظر: مغني اللبيب: 1/111؛ ومعجم قواعد اللغة العربية: 193.
- (5) ينظر: الخصائص: 2/308.
- (6) ينظر: شرح الكافية، ، نجم الدين محمد الاسترأبادي، وضع فهارسه وحواشيه: إميل بديع يعقوب، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت: 4/305.
- (7) ينظر: م. ن: 4/305.
- (8) ينظر: شرح المفصل: 4/514.
- (9) ينظر: النحو الوافي: 2/413.
- (10) ينظر: النحو الوافي: 2/351.
- (11) ينظر: التصريح على التوضيح: 2/22.
- (12) صحيح البخاري: 3/139.

6

- حذف عامل الجر وبقاء عمله:

من شواهد هذه المسألة قول النبي (ﷺ): "مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامٌ اثْنَيْنِ فَلْيُذْهِبْ بِثَالِثٍ، وَإِنْ أَرْبَعَةً فَخَامِسٍ أَوْ سَادِسٍ"⁽¹⁾.

فالحديث النبوي الشريف قد تضمن حذف فعليْن وعاملي جِ باقٍ عملهما بعد (إن) وبعد الفاء⁽²⁾.

وقد حكى غير واحد من العلماء عن العرب قولهم: مررت بصالح، إن لا صالح فطالح⁽³⁾، على تقدير: إن لا أمرَ بصالح فقد مررت بطالح، فحذف بعد (إن) أمر والباء وأبقى عملهما، وحذف بعد الفاء مررت والباء وأبقى عملهما، وهو كالحديث المذكور آنفاً، فقد حذف فيه بعد (إن) و(الفاء)، فعلان وحرف جر باقٍ عملهما، والتقدير: من كان عنده طعام اثْنَيْنِ فَلْيُذْهِبْ بِثَالِثٍ، وإن أقام بأربعة فليذهب بخامس أو بسادس⁽⁴⁾.

ومن بقاء الجر بالحرف المحذوف قوله (ﷺ): "صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ وَبَيْتِهِ بَضْعًا وَعَشْرِينَ دَرَجَةً"⁽⁵⁾، أي بخمس وعشرين ضعفاً، وقوله عليه الصلاة والسلام: "فضل الصلاة بالسواك على الصلاة بغير سواك سبعين ضعفاً"⁽⁶⁾، أراد: سبعين صلاة.

قال بعض العلماء: قيده بالجر في الجميع، بتقدير: إن كان عنده طعام أربع فليذهب، أو سادس فحذف المضاف، وأبقى عمله⁽⁷⁾، قال ابن حجر: "ويحتمل أن يكون معنى: أو سادس، إن كان عنده طعام خمس فليذهب بسادس، فيكون من عطف الجملة على الجملة وقوله "إن أربع فخامس بالجر فيها، والتقدير: فإن كان عنده طعام أربع فليذهب بخامس أو بسادس فحذف عامل الجر وأبقى عمله"⁽⁸⁾.

- معنى رَبِّ التَّكْثِيرِ وليس التَّقْلِيلِ:

ومن شواهد هذه المسألة قول النبي (ﷺ): "يَا رَبُّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ"⁽⁹⁾.

يرى أكثر النحويين أنَّ معنى (رَبِّ) التَّقْلِيلِ، وأنَّ معنى ما يصدر بها المضي، والصحيح أنَّ معناها في الغالب التَّكْثِيرُ، نص على ذلك سيبويه، ودلت الشواهد من النثر والنظم عليه⁽¹⁰⁾.

فأما نص سيبويه، فقوله في باب (كم): واعلم أن (كم) في الخبر لا تعمل إلا فيما عمله فيه (رَبٌّ)؛ لأنَّ المعنى الواحد، إلا أنَّ (كم) اسم، ورُبٌّ غير اسم، فجعل معنى رُبٌّ ومعنى (كم) الخبرية واحداً⁽¹¹⁾.

ولا خلاف في أنَّ معنى (كم) التَّكْثِيرُ، ولا معارض لهذا الكلام في كتابه، فصح أنَّ مذهبه كون (رُبٌّ) للتَّكْثِيرِ لا للتَّقْلِيلِ⁽¹²⁾. وأما الشواهد على صحة ذلك فمنها نثر ومنها نظم، فمن النثر قول النبي (ﷺ) السابق، فليس المراد أنَّ ذلك قليل، بل المراد أنَّ الصنف المتصف بهذا من النساء كثير، ولذلك لو جعلت (كم) موضع (رُبٌّ) لحسن⁽¹³⁾.

ومن شواهد هذا من النظم، قول حسان (ﷺ)⁽¹⁴⁾:

رَبِّ حَلَمٍ أَضَاعَهُ قَلِيلَةً _____
مَالٍ وَجْهٌ لَغَطَّى عَلَيْهِ النِّعَمِ

وقول ضابئ اليرجمي⁽¹⁵⁾:

- (1) صحيح البخاري: 147/1.
- (2) ينظر: شواهد التوضيح والتصحيح: 153؛ وعقود الزبرجد: 250/2.
- (3) ينظر: الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب بسيبويه (ت: 180هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، 1966م: 262/1.
- (4) ينظر: شواهد التوضيح والتصحيح: 153.
- (5) فتح الباري: 131/2.
- (6) مسند الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، (المتوفى: 241هـ)، تحقيق: السيد أبو المعاطي النوري، عالم الكتب - بيروت، ط1، الأولى، 1419هـ: 272/6.
- (7) ينظر: عقود الزبرجد: 251/2؛ وعمدة القاري: 337/30.
- (8) فتح الباري: 595/6.
- (9) صحيح البخاري: 60/2.
- (10) ينظر: الكتاب: 161/2، وشرح التسهيل، ابن مالك: 174/4، وارتشاف الضرب، أبو حيان: 1737/4، وشواهد التوضيح والتصحيح: 164.
- (11) ينظر: الكتاب: 161/2؛ وشواهد التوضيح والتصحيح: 164.
- (12) ينظر: شواهد التوضيح والتصحيح: 164.
- (13) م. ن: 164.
- (14) ديوانه: 378.
- (15) لم أعث على مكانه، وينظر: شواهد التوضيح والتصحيح: 164.

وَرُبَّ أَمْرٍ لَا تَضُرُّكَ ضَمِيرَةٌ وَلِلْقَلْبِ مَن ثَخَاتِهِ وَجِبْ

قال ابن مالك: "واحتزرت بقولي في الغالب، من استعمالها فيما لا تكثير منه، كقول الشاعر (1):

أَلَا رُبَّ مَوْلُودٍ وَلَيْسَ لَهُ أَبٌ وَذِي وَلَدٍ لَمْ يَلِدْ أَبُوانٌ" (2)

وفي عمدة القاري: "وهذا يؤيد ما قال ابن مالك، ربُّ أكثر ما يرد للتكثير، وهذا بخلاف ما قال أكثر النحويين أنَّ رُبَّ للتقليل" (3).

ومعنى كاسية في الدنيا عارية في الآخرة، كاسية في الدنيا: بالثياب لوجود الغنى، عارية في الآخرة من الثواب لعدم العمل في الدنيا، وقيل: كاسية في الدنيا لكنها شفافة، لا تستر عورتها، فعاقب في الآخرة بالعري جزاء على ذلك، وقيل كاسية من النعيم عارية من الشكر فهي عارية في الآخرة من الثواب (4).

فالأصل في رُبَّ أنها لا تدل على التقليل، فقد تستعمل للتكثير، كما في الحديث، والحقيقة فيه أن ليس معناه التقليل دائماً خلافاً للأكثرين ولا للتكثير دائماً خلافاً لابن درستويه وجماعة، بل ترد للتكثير كثيراً، وللتقليل قليلاً، فمن الأول، قوله تعالى: جِئْ بِإِبْرَاهِيمَ إِذْ يَبْكُ وَهُوَ نَذِيرٌ لِلْعَالَمِينَ (سورة الحجر: الآية: 2)، ورُبَّ كاسية في الدنيا عارية في الآخرة.. الحديث، من الثاني.

- استعمال (من) في ابتداء غاية الزمان:

ومن شواهد هذا الاستعمال قول رسول الله (ﷺ): "مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَرَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عَامِلًا، فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلْتُ الْيَهُودَ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، ثُمَّ قَالَ مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ؟ ثُمَّ قَالَ مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ عَلَى قِيرَاطِينَ قِيرَاطِينَ؟ أَلَا فَانْتُمْ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ عَلَى قِيرَاطِينَ قِيرَاطِينَ، أَلَا لَكُمْ الْأَجْرُ مَرَّتَيْنِ" (5).

تضمن هذا الحديث استعمال (من) في ابتداء غاية الزمان أربع مرات (6)، وهو مما خفي على أكثر النحويين، فمنعوه تقليداً لسيبويه في قوله: "وأما (من) فتكون لابتداء الغاية في الأماكن ... وأما (منذ) فتكون لابتداء غاية الأيام والأحيان ... ولا تدخل واحدة منهما على صاحبتهما" (7)، يعني أنَّ (منذ) لا تدخل على الأمكنة، ولا (من) على الأزمنة.

ومن شواهد صحة هذا الاستعمال قوله تعالى: جِئْ بِإِبْرَاهِيمَ إِذْ يَبْكُ وَهُوَ نَذِيرٌ لِلْعَالَمِينَ (سورة الحجر: الآية: 108)، قال القرطبي: "قوله تعالى (من أول يوم)، (من) عند النحويين مقابل (منذ) في الزمان بمنزلة (من) في المكان، فقيل إنَّ معناها هنا معنى (منذ)، والتقدير: منذ أول يوم ابتدأ بنيانه، وقيل المعنى: من تأسيس أول الأيام، فدخلت على المصدر الذي هو تأسيس" (8).

ومن ذلك قول العرب:

من لدن شولاً فبالى اتلائها (9).

إذ نصب (شولاً) لأنه أراد زماناً، والشول لا يكون زماناً ولا مكاناً، فيجوز فيه الجر، كقولك: من لدن صلاة العصر إلى وقت كذا وكذا، فلما أراد الزمن حمل الشول على شيء يحسن أن يكون زماناً إذا عمل في الشول، كأنك قلت: من لدن فكانت شولاً إلى اتلائها (10).

ومن شواهد الاستعمال أيضاً حديث عائشة (رضي الله عنها): "فيجلس رسول الله (ﷺ)، ولم يجلس عندي من يوم قيل في ما قيل" (1). وقول بعض الصحابة (رضي الله عنهم) فمطرنا من جمعة إلى جمعة" (2).

- (1) معجم الشواهد العربية: 398/1.
- (2) شواهد التوضيح والتصحيح: 165.
- (3) عمدة القاري: 125/35؛ وينظر: فتح الباري: 33/29.
- (4) ينظر: عمدة القاري: 125/35.
- (5) صحيح البخاري: 207/4.
- (6) ينظر: شواهد التوضيح والتصحيح: 189.
- (7) الكتاب: 226-225/4.
- (8) الجامع لأحكام القرآن: 260/8.
- (9) قائله مجهول، معجم الشواهد العربية: 438/2.
- (10) الكتاب: 1265-264/1.

ومن الشواهد الشعرية قول النابغة⁽³⁾:

تَخَيَّرْنَ مَنْ أَزْمَانِ يَوْمِ حَلِيمِهِ إِلَى الْيَوْمِ قَدْ جَرَيْنِ كُلَّ التَّجَارِبِ

- استعمال (في) بمعنى (الباء):

ومن شواهد هذه المسألة ما روي: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "وَأَهْلُ بَيْتِي، أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي"⁽⁴⁾

أي اذكركم الله بأهل بيتي، فهنا (في) دلت على الصاق التذكير والاحسان بأهل بيت الرسول (صلى الله عليه وسلم)⁽⁵⁾

- استعمال (على) اسماً:

ومن شواهد هذا استعمال حرف الجر (على) اسماً، قوله عليه الصلاة والسلام: "عَلَامٌ تُؤْمِنُونَ بِأَيْدِيكُمْ؟ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْلٍ شُمْسٍ، وَإِنَّمَا يَكْفِي أَحَدَكُمْ أَنْ يَضَعَ يَدَهُ عَلَى فَخْذِهِ ثُمَّ يُسَلِّمَ عَلَى أَخِيهِ. مَنْ عَلَى يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ"⁽⁶⁾.

فقوله عليه الصلاة والسلام: "من على جنبه"، شاهد على استعمال (على) اسماً، وأن ذلك ليس مخصوصاً بالشعر⁽⁷⁾.

والمراد بالأخ في الحديث، الجنس، أي إخوانه الحاضرين عن اليمين والشمال، وفيه الأمر بالسكون في الصلاة والخشوع فيها والإقبال عليه، وأن الملائكة يصلون، وأن صفوفهم على هذه الصفة⁽⁸⁾.

(1) صحيح البخاري: 139/1-140. * صحيح البخاري: 118/1 ** ينظر: شواهد التوضيح والتصحيح: 53.

(2) صحيح البخاري: 35/2. *** ينظر: تفسير الشعراوي: 3.

(3) ديوانه: 45.

(4) صحيح مسلم: ج2، 2408 كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل علي ابن ابي طالب رضي الله عنه، 1873/4

(5) معاني حروف الجر في خطب الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الصحيحين، بسمة بنت صويلح بن سليمان الجهني، دكتورة في كلية اللغة العربية - قسم النحو والصرف - جامعة أم القرى - مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية

(6) صحيح مسلم: 322/1.

(7) ينظر: شواهد التوضيح والتصحيح: 265.

(8) جمع الجوامع المعروف بـ «الجامع الكبير»، جلال الدين السيوطي: 637/5.

النتائج

- كل قبيل من هذه المعاني اختصّ بقبيل من هذه الحروف، إلا أنه قد يتوسع فيها فيأخذ كل حرف مكان حرف آخر. ومما لاشك فيه أن استعمال حرف جر دون آخر في سياق معين يلفت الانتباه الى قضية مهمة ، وهي ان الحرف المستعمل يأتي بمعنى جديد لا يقدمه ماناب عنه. فإذا ما اراد المتكلم دمج أكثر من معنى في تركيب واحد ، عمد الى اخذ هذا من حرف يحتمل دلالة توافق المعنى المراد .
- مذهب البصريين أنَّ حروف الجر لا ينوب بعضها عن بعض وإذا حدث ما يؤهم ذلك فهو على سبيل التضمنين. وبخالفهم في ذلك اهل الكوفة ، اذ يرون نيابة حرف عن حرف ، بل هو من المقيس عندهم ، والباحث يرى انه لاسبيل الى نكرانها ، فالشواهد كثيرة تثبت هذه النيابة ، فضلاً عن القائلين بها علماء اجلاء ، خبروا اللغة ، وعرفوا طرائق العرب في استعمالها ، فالحرف يتمتع بمرونة كبيرة تؤهله لهذه النيابة .
- الأصل في حرف الجر (في) الظرفية، وقد خرج إلى الدلالة على السببية، ومنها قوله عليه الصلاة والسلام: دَخَلَتْ امْرَأَةُ النَّارِ فِي هَرَّةٍ، رَبَطْتُهَا، فَلَمْ تُطْعَمْهَا، وَلَمْ تُسَقِّهَا، وَلَمْ تُرْسِلْهَا فَتَأْكُلْ مِنْ خَشَائِشِ الْأَرْضِ.
- قد يحذف حرف الجر ويبقى عمله، وهي ظاهرة بارزة وردت في مواضع من الحديث النبوي الشريف، منها قوله عليه الصلاة والسلام: "وإن أربعة فخامس".
- تستعمل (من) لابتداء الغاية في الأزمنة، وله شواهد كثيرة في الحديث.
- ورد استعمال (من) لابتداء الغاية أربع مرات في الحديث الواحد، ودلّ ذلك على أنَّ لغة الحديث لغة جامعة متمكنة ذات تناسق محكم.
- حرف الجر (ربّ) دلّ على التكثر، وليس التقليل كما هو الشائع في أغلب مواضع النحو الأخرى عند النحويين.
- استعمال (على) اسماً في الحديث النبوي الشريف أثبت ذلك أنه ليس مخصوصاً بالشعر فقط.

References

1. Al-Jami' Li Ahkam Al-Qur'an, Abu Abdullah Muhammad Bin Ahmed Al-Qurtubi, Edited By: Hisham Samir Al-Bukhari, Dar Alam Al-Kutub, Riyadh - Kingdom Of Saudi Arabia.
2. Al-Muqarrab And With Him Such As Al-Muqarrab, Ibn Asfour, 1st Edition, Edited By: Adel Ahmed Abdel Mawjoud, Ali Muhammad Moawad, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, 1998 Ad.
3. Al-Nahw Al-Wafi, Abbas Hassan, 2nd Edition, Al-Muhammadi Library, Beirut, 2007 Ad.
4. Al-Sahhah: The Crown Of Language And The Sahih Of Arabic, Ismail Bin Hammad Al-Jawhari, 2nd Edition, Dar Al-Ilm Lil-Millain, Beirut, 1979 Ad.
5. Characteristics, Abu Al-Fath Othman Bin Jinni, Edited By: Muhammad Ali Al-Najjar, 2nd Edition, Dar Al-Huda, Beirut.
6. Collector Of Al-Bayan On The Interpretation Of Verses Of The Qur'an, Abu Jaafar Muhammad Bin Jarir Al-Tabari, Presented To Him By: Sheikh Khalil Al-Mays, Recorded And Documented By: Sadaqat Hamid Al-Attar.
7. Diwan Al-Hadhaliyin, Egyptian Book House, 1965 Ad.
8. Diwan Al-Nabigha, Edited By: Dr. Shukri Faisal, Dar Al-Fikr, 1968 Ad.
9. Diwan Dhul-Rumma, Edited By: Abdul Quddus Abu Saleh, Damascus, 1974 Ad.
10. Diwan Hassan Bin Thabit Al-Ansari, Explanation: Al-Barqoqi, Al-Saada Press, Egypt.
11. Diwan Jamil, The Celebrity Of Virginal Love, Edited By: Dr. Hussein Nassar, 3rd Edition.
12. Evidence Of Clarification And Correction Of The Problems Of Al-Jami' Al-Sahih, Jamal Al-Din Bin Malik, Edited By: Dr. Taha Mohsen, Arab Horizons Printing And Publishing House, Baghdad.

13. Explanation Of Al-Kafiya, Najm Al-Din Muhammad Al-Istrabadi, Its Indexes And Footnotes: Emil Badi Yaqoub, 2nd Edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut.
14. Explanation Of Ibn Aqeel, Bahaa Al-Din Ibn Aqeel, Edited By: Muhammad Mohi Al-Din Abd Al-Hamid, Dar Al-Tala'i, Cairo.
15. Language Standards, Ahmed Bin Faris Bin Zakaria Al-Qazwini Al-Razi, Abu Al-Hussein (D. 395 Ah), Edited By: Abdul Salam Muhammad Haroun, Dar Al-Fikr, 1399 Ah.
16. Lisan Al-Arab, Jamal Al-Din Muhammad Bin Makram, 1st Edition, Boulaq, Egyptian House For Authoring And Translation.
17. Meanings Of Grammar, Dr. Fadel Saleh Al-Samarrai, 2nd Edition, Dar Al-Fikr For Printing And Publishing, Amman, 2003 Ad.
18. Mughni Al-Labib On The Books Of Arabs, Jamal Al-Din Bin Hisham Al-Ansari, Dar Al-Fikr, Beirut, 1972 Ad.
19. Musnad Ahmad Ibn Hanbal, Abu Abdullah Ahmad Ibn Muhammad Ibn Hanbal Ibn Hilal Ibn Asad Al-Shaybani (D. 241 Ah), Edited By: Mr. Abu Al-Maati Al-Nouri, Alam Al-Kutub - Beirut, Ed. 1, 1419 Ah.
20. Revealing The Problem In Grammar, Abu Al-Hasan Ali Bin Suleiman (Haidara Al-Maymani), 1st Edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, 2004 Ad.
21. Sharh Al-Mufassal, By Muwaffaq Al-Din Abu Al-Baqa Ibn Ya'ish. Submitted By Him And His Footnotes: Emil Badi' Yaqoub, 1st Edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut.
22. The Aquamarine Necklaces On The Musnad Of Imam Ahmad, Abdul Rahman Bin Abi Bakr, Jalal Al-Din Al-Suyuti (Died: 911 Ah), Verified And Presented By: Dr. Salman Al-Qudah, Dar Al-Jeel, Beirut - Lebanon, 1414 Ah.
23. The Book, Amr Bin Othman Bin Qanbar Al-Harithi, With Loyalty, Abu Bishr, Nicknamed Sibawayh (D. 180 Ah), Edited By: Abdul Salam Haroun, Cairo, 1966 Ad.
24. The Brief Editor In The Interpretation Of The Book Al-Aziz, Ibn Attiya, Edited By: Ahmed Saleh Al-Mallah, Cairo, 1974 Ad.
25. The Clarification In Sharh Al-Mufassal, Ibn Al-Hajib, Narrated By: Dr. Mustafa Al-Alayli, Al-Ani Press, Baghdad.
26. The Declaration On Clarification, Khaled Al-Azhari, Dar Revival Of Arabic Books, Beirut.
27. The Spirit Of Meanings In The Interpretation Of The Great Qur'an And The Seven Mathanis, Shihab Al-Din Mahmoud Bin Abdullah Al-Husseini Al-Alusi (D. 1270 Ah) Translated By: Ali Abd Al-Bari Attiya, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah - Beirut, 1st Edition, 1415 Ah.
28. Umdat Al-Qari With An Explanation Of Sahih Al-Bukhari, Ibn Hajar Al-Asqalani, Egypt, 1959 Ad.